

شرح البيقونية مفرغا 4- الجزء الأول

شرح المنظومة البيقونية

(الدرس الرابع)

لفضيلة الشيخ

أبي الحسن علي الرملي

- حفظه الله -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد ؛ فهذا المجلس الرابع من مجالس شرح البيقونية .

قال الناظم رحمه الله:

مُسْتَلْسَلٌ قُلُ مَا عَلَيَّ وَصَفِي أَتَى...مِثْلُ أَمَّا وَاللَّهِ أَنْبَاءِي الْفَتَى
كَذَلِكَ قَدْ حَدَّثَنِيهِ قَائِلٌ... أَوْ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَنِي تَبَسُّمًا

يُعَرِّفُ النَّاطِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ نَوْعَ الْمُسْلَسَلِ.

المسلسل لغة : هو المتصل بعضه ببعض ، ومنه سلسلة الحديث ؛ لأن حلقاتها متصلة بعضها ببعض.

والحديث المسلسل في اصطلاح أهل الحديث : هو ما تتابع رجال إسناده على صفة واحدة .

كما مثل الناظم رحمه الله مثل أن يقول الراوي : أَمَّا وَاللَّهِ أَنْبَاءِي الْفَتَى : أي أنبأني شيخي (أنبأني الراوي) ، كالحديث الذي يذكره علماء الحديث في كتب المصطلح وهو حديث معاذ بن جبل ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " يا معاذ : والله إني أحبك ، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " .

ف عندما حدّث معاذ بن جبل بهذا الحديث قال للذي يريد أن يأخذه عنه : إني أحبك فلا تدعن ... إلى آخر الحديث .

والذي بعده كذلك ، والذي بعده كذلك .

فكل واحد منهم أراد أن يحدِّث بهذا الحديث قال : إني أحبك ... ثم حدِّث به ، فكان هذا الحديث مسلسلاً بالمحبة ، هذه صورة .

وصورة أخرى : كالتسلسل بالفعل ، كأن يحدِّث مثلاً النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابي الحديث وهو قائم ، يأخذه أبو هريرة مثلاً أو غيره من الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فيحدثه لمن بعده وهو قائم ، والذي بعده يحدثه للذي بعده وهو قائم إلى آخره ، فيكون هذا الحديث مسلسلاً بالقيام .

أيضاً كالحديث الذي يكون مسلسلاً بالفعل ، وهو التبسم مثلاً ، كأن يتبسم النبي - صلى الله عليه وسلم - ويحدِّث الصحابي بالحديث ، ثم يتبسم الصحابي ويحدث التابعي بالحديث ، ثم يتبسم التابعي ويحدث الذي بعده بالحديث ، وهكذا ، فيكون هذا مسلسلاً بالتبسم .

أو أن يكون رواية الحديث مثلاً متصفون جميعاً بصفة واحدة كأن يكونوا - مثلاً - جميعاً من أهل البصرة ، فيكون الإسناد مسلسل بالبصريين .

أو أن يكونوا من أهل الشام ، يكون الإسناد مسلسلاً بالشاميين ، أو أن يكون الإسناد مسلسلاً بالمصريين - مثلاً - يكون جميع رواية الإسناد من أهل مصر فيكون مسلسلاً بالمصريين .

أو يكون التسلسل بصيغة التحديث كأن يُروى حديث مثلاً من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وتكون صيغة التحديث بين كل اثنين هي (حدَّثنا) ، يقول مالك : حدثنا نافع ، يقول نافع : حدثنا ابن عمر ، يقول ابن عمر : حدثنا النبي - صلى الله عليه وسلم - فهذا يكون مسلسلاً بالتحديث .

هذه صورة الحديث المسلسل .

يقول أهل الحديث : في الغالب الأحاديث المسلسلة تكون ضعيفة .

هذا وصف التسلسل في حد ذاته لا علاقة له بقبول الحديث أو رده ، يعني لا يُقال في الحديث لأنه مسلسل ضعيف أو لأنه مسلسل صحيح ، لا .

يُنظر إلى الحديث وإلى شروط الصحيح وشروط الحسن وشروط الضعيف ، ما هو المتوفر فيه منها ؟ ويُحكَّم عليه بما يناسبه .

ثم قال الناظم رحمه الله :

عَزِيزٌ مَّرْوِيٌّ اِثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً...مَشْهُورٌ مَّرْوِيٌّ فَوْقَ مَا ثَلَاثَةً

يريد الناظم في هذا البيت أن يُعرِّف الحديث العزيز والحديث المشهور .

نحن بالمناسبة نذكر أقسام الحديث باعتبار وصوله إلينا .

فمن حيث وصول الحديث إلينا إما أن يكون الحديث قد وصل إلينا بإسناد أو بإسنادين أو بثلاث أو بأسناد متعددة (الحديث الواحد) .

مثلاً : حديث " إنما الأعمال بالنيات " ممكن أن نبحت عن هذا الحديث ولا نجده إلا بإسناد واحد أو نبحت عنه فنجده بإسنادين أو بثلاث أو بأربعة أو بأكثر من ذلك ، بهذا الاعتبار قسّم العلماء ، الحديث إلى قسمين : حديث متواتر وحديث آحاد .

فما هو الحديث المتواتر ؟

الحديث المتواتر : هو الحديث الذي رواه جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب (من أوله إلى آخره) ويكون مستندهم في النقل ؛ الحس .

ماذا يعني هذا الكلام ؟

هذا الكلام يعني : أن يكون الحديث مثلاً قد رواه جمع ، مثلاً نقول : رواه عشرون رجلاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورواه عن العشرين ، عشرون مثلهم أو أكثر (أو ثلاثون أو أربعون) الكثرة لا تهم ، المهم أن يكون أقل طبقة فيه فيها جمع ، عن جمع عن جمع من أول الإسناد إلى آخره ، ويُشترط في هذا الجمع من الرواة أن يكونوا بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب - يعني يستحيل أن يتفقوا على الكذب لا قصداً ولا خطأ - إذا كان الإسناد من أوله إلى آخره على هذه الصورة وكان مستند نقلهم في الأصل هو الحس (يعني المشاهدة أو السماع) لا مجرد الرأي العقلي ؛ لا ، المشاهدة أو السماع يكون هذا الحديث متواتراً .

كأن يسمع جماعة من الصحابة حديثاً من النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا مستنده الحس لأنهم أخذوه بالسمع ، والسمع من الحواس فأخذوه بالسمع فكان مستندهم هو السمع ، فإذا نُقل الحديث على هذه الصورة التي ذكرناها يكون متواتراً لماذا ؟ لأنه يفيد اليقين في هذه الحالة ، إذا كان الحديث متصفاً بهذه الصورة أفاد اليقين أي استيقن الشخص أن هذا الحديث من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - .

هذا بالنسبة للحديث المتواتر .

أما حديث الآحاد ؛ فهو ما ليس بمتواتر ؛ أي أيّ حديث لم تجتمع فيه شروط التواتر فهو حديث آحاد .

وهو ثلاثة أنواع : غريب وعزيز ومشهور (حديث غريب ، وحديث عزيز وحديث مشهور) .

المؤلف عندنا هاهنا عرّف العزيز والمشهور وسيعرّف الغريب في بيت آت .

نحن نذكرها كلها استطراداً وعندما يأتي نشير إليه إشارة .

فقال رحمه الله في العزيز : عَزِيزٌ مَرُويٌّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً .

فالعزيز عند الناظم رحمه الله : ما كان في أقل طبقة من طبقات سنده راويان أو ثلاثة .

نقف هاهنا وقفة نبين ما المراد بالطبقة أولاً :

الطبقة : هم الرواة المتشابهون في السن أو الأخذ (يعني الأخذ عن الشيخ) .

إما أن يكون الرواة قد اتفقوا في السن لأن يكون سنهم واحداً أو قريباً من بعضه ؛ فهؤلاء يسمون طبقة ، أو أن يكون الرواة قد اشتركوا في الأخذ عن شيخ معين فيسمون هؤلاء طبقة .

وهذا النوع الثاني هو الذي نريده .

الطبقة عندنا ها هنا هم الرواة الذين اتفقوا في الرواية عن الشيخ كأن يروي مثلاً : زيد وعمر يرويان مثلاً عن أبي الحسن ، هذان الراويان في هذا المكان يسميان طبقة ، طبقة زيد وعمر (طبقة) ، طبقة أبي الحسن (طبقة) ، فإذا ، كل جهة من هذه الجهات تسمى طبقة .

مثلاً لو روى الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أبو هريرة ، ورواه عن أبي هريرة أبو صالح ، فهنا أبو صالح نسميه طبقة وأبو هريرة نسميه طبقة ثانية ؛ فإن روى الحديث آخر عن أبي هريرة ؛ مثلاً : إن رواه الأعرج عن أبي هريرة مع أبي صالح ، أبو صالح والأعرج يكونان طبقة واحدة لأنهما اتفقا في الأخذ عن أبي هريرة . هذا معنى الطبقة .

فطبقات الإسناد يعني مثلاً عندنا مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - .

مالك : طبقة .

ونافع : طبقة .

وابن عمر : طبقة .

إذا نظرنا في الإسناد فوجدنا أن ابن عمر روى الحديث معه اثنان من الصحابة ، ورواه عن الثلاثة عن الصحابة هؤلاء خمسة ، ورواه عن الخمسة ، عشرة من الرواة ، إذاً ، نقول : الطبقة الأولى التي هي طبقة الصحابة كم راوٍ فيها ؟ فيها ثلاثة .

الطبقة الثانية الذين هم يروون عن الصحابة كم فيها ؟ خمسة .

الطبقة الثالثة كم فيها ؟

عشرة .

هكذا تكون الحسبة عندنا ها هنا .

إذاً ؛ أقل طبقة عندنا في هذا الإسناد ثلاثة .

الثلاثة هذه هي العبرة ، هي التي ننظر إليها ، لا ننظر إلى الكثرة ، الكثرة ليست مهمة عندنا ، المهم أن ننظر في أقل طبقة كي نحكم على الحديث أنه غريب أو عزيز أو مشهور ، فإن كانت أقل طبقة من طبقات السند اثنين (أي فيها راويان) أو ثلاثة (أي ثلاثة رواة) فهذا عند الناظم رحمه الله يسمى ماذا ؟ هذا الحديث يسمى عزيزاً .

عند بعض أهل الحديث لا يسمون ما كانت فيه أقل طبقة من طبقات السند ثلاثة ، لا يسمونه عزيزاً ؛ يسمونه مشهوراً .

فيقولون : الغريب ما كان في أقل طبقة من طبقات سنده واحد ، والعزيز ما كان في أقل طبقة من طبقات سنده اثنان ، والمشهور : ما كان في أقل طبقة من طبقات سنده ثلاثة فأكثر ما لم يصل إلى درجة المتواتر (ثلاثة فأكثر ما لم يصل الحديث إلى حد التواتر) .

هذا هو الغريب والعزيز والمشهور .

الغريب : ما كان في أقل طبقة من طبقات سنده راوٍ واحد .

بمعنى أننا إن وجدنا طبقة من طبقات السند ليس فيها إلا راوٍ واحد لم يتابعه أحد على رواية هذا الحديث نسميه غريباً .

إن كان في أقل طبقة من طبقات السند ثلاثة فأكثر ما لم يبلغ إلى حد التواتر نسميه مشهوراً .
هذا تعريف الغريب والعزيب والمشهور .

بقي عندنا أن نعرف أن المشهور يُطلق على معنيين : على معنى اصطلاحي ومعنى غير اصطلاحي .
المعنى الاصطلاحي هو الذي ذكرنا .

أما المعنى غير الاصطلاحي فيُطلق على ما اشتهر على الألسنة ، مثاله : حديث " أبغض الحلال إلى الله الطلاق "
" هذا حديث مشهور عند عامة الناس اليوم ومشهور عند الفقهاء ، لكن مشهور بمعنى ماذا ؟

مشهور على السنة الفقهاء والعامة ، وليس معناه أن أقل طبقة في طبقاته ثلاثة رواة ، لا ، معناه أنه مشهور عند الفقهاء
وعند عامة الناس .

فالمشهور إذاً عند أهل الحديث يطلق على هذين المعنيين .

ثم قال الناظم رحمه الله :

مُعَنَّ كَعَن سَعِيدٍ عَن كَرَمٍ... وَمُبْهَمٌ مَا فِيهِ رَأُو لَمْ يُسَمِّ .

الناظم رحمه الله يريد أن يُعرِّف في هذا البيت الحديث

المُعَنَّ ، والحديث المبهم ، فما هو نوع المعنعن ؟ وما هو نوع المبهم ؟

المنعن : هو الحديث الذي يرويه أحد رواته أو أكثر من واحد عمّن فوقه بصيغة (عن) .

لو نظرت إلى إسناد من الأسانيد ورأيت واحداً من الرواة قال فيه : عن فلان فهذا الإسناد يسمى إسناداً معنعناً ، أي
فيه عنعنة (فيه راوٍ من الرواة قال : عن فلان) و (عن) هذه صيغة من صيغ التحديث .

صيغ التحديث منها : حدثنا ، سمعت ، أخبرنا .

يقول الإمام البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - .

هناك صيغة تحديث : حدثنا .

صيغة تحديث : سمعت .

صيغة تحديث : أخبرنا .

صيغة تحديث : أنبأنا .

ويوجد صيغة تحديث اسمها : عن .

فلماذا أفرد علماء الحديث هذه الصيغة بالذات بالكلام ؟

لأن صيغة : حدثنا وسمعت وأخبرنا وأنبأنا كلها صيغ سماع صريحة ما تحتاج إلى وقفة ، عندما يقول لك شخص :

حدثني فلان ؛ ما عندك إشكال ولا شك أن هذا الشخص قد سمع الحديث مباشرة من شيخه .

وأما (عن) ففي أصل وضعها اللغوي لم توضع كصيغة سماع أو تحديث صريحة ، فإن قلت : فلان عن فلان أي : أخذ الحديث عنه ، لكن هل يلزم من ذلك السماع ؟

اصطلاحاً : هو محمول على السماع ، اصطلاحاً وليس بالوضع اللغوي ، لكن اصطلاحاً لفظة (عن) محمولة عند أهل الحديث على السماع عند جمهور أهل الحديث ، وهناك خلاف ولكنه خلاف شاذ .

لكن متى تحمل على السماع ؟ هكذا مطلقاً لا ، هناك شروط ، ما هي هذه الشروط ؟

عندنا ثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يكون الراوي عدلاً من الناحية الدينية ، ومن ناحية الحفظ حتى نحمل كلمة (عن) منه على السماع ، ينبغي أن يكون الراوي عدلاً ؛ كي لا يكون قد كذب في التحديث ، ويكون حافظاً كي لا يكون قد أخطأ إذا كان سيء الحفظ ربما يخطئ.

الشرط الثاني : ثبوت لقاء الراوي لشيخه ؛ لأنك ممكن أن تجد راوياً يحدث عن يديه بصيغة عن وهو لم يلقه ، يقول : عن فلان وهو حقيقة لم يسمع منه ولم يلقه أصلاً فهذا تجده في الأسانيد .

إذا ؛ لا بد أن يثبت عندك أن هذا الراوي الذي قال عن شيخه ؛ أنه لقيه ، ولو ثبت عندك في حديث واحد قال حدثنا أو سمعت في حديث واحد ، خلاص يثبت عندك أنه قد لقي شيخه وأخذ عنه فتطمئن بعد ذلك لبقية الأحاديث .

هل يجب أن يثبت عندك اللقاء ؛ يعني لا بد أن تكون قد وقفت على تحديث أو سماع من هذا الراوي عن شيخه أم يكفي فقط بأن يكون قد عاصره ومن الممكن أن يلقاه ؟

ها هنا حصل خلاف بين أهل العلم سنتوسع في ذكره في الباعث إن شاء الله تعالى ، ولكنني أفهمكم الموضوع بشكل عام .

ثبوت اللقاء كما ذكرنا لكم يجب أن يثبت عندك أن هذا الراوي قد التقى بشيخه وهذا كيف يثبت عندك ؛ بأن تجده في أحد الأسانيد يقول : حدثنا فلان ، أو سمعت فلان ، هذا يثبت لنا أنه قد لقي شيخه لأنه هو ليس كذاباً ، هو عدل وهو حافظ ، إذا قال : حدثنا أو سمعت إذاً ، فقد ثبت عندنا أنه لقيه .

أو أن تجد حديثه عن شيخه في صحيح البخاري أو في صحيح مسلم .

في صحيح البخاري : البخاري اشترط أن لا يضع في صحيحه حديثاً إلا بهذه الصفة ، أن يكون قد ثبت عنده أن هذا الراوي قد لقي شيخه حتى يضع حديثه في كتابه .

مسلم شرطه أخف من شرط البخاري ، ما هو ؟

مسلم يشترط أن يثبت عنده أن هذا الشيخ قد عاش في نفس العصر مع شيخه الذي يروي عنه بصيغة (عن) ، وإمكانية اللقاء بينهما ممكنة كأن يعيشا مثلاً في بلاد واحدة ، يكون هذا مثلاً بصرياً وشيخه بصري ، إذا ثبت عندنا أنهما عاشا في عصر واحد وأنهما عاشا في بلاد واحدة فالغالب على الظن أنه قد سمع منه ، هذا شرط مسلم . البخاري لا يكتفي بهذا ، لا بد أن يثبت عنده أنه لقيه .

هذا هو الفرق بين شرط البخاري وشرط مسلم في السماع .

الشرط الثالث كي نحمل (عن) على السماع : أن لا يكون الراوي مدلساً .

الراوي المدلس : هو الذي ثبت له السماع من شيخه لكنه يروي عنه أحاديث بصيغة العنعنة وهو لم يسمعها منه أصلاً .

هو في الأصل سمع منه أحاديث لكن حديث أو حديثين سمعهما من شخص آخر ولم يسمعهما من شيخه مباشرة ، فحذف الشيخ الآخر وروى هذا الحديث عن شيخه بصيغة (عن) أوهم الناس هكذا بأنه أخذ عن شيخه مباشرة ، فالذي يطلع على الإسناد يقول : فلان قد سمع من شيخه وثبت عندنا أنه سمع من شيخه فإذا هذا الإسناد يُحمل على السماع .

لكن عندما يثبت أنه مدلس وأنه يفعل هذا الأمر وأنه يحدث عن شيخه بصيغة (عن) بأحاديث لم يسمعها منه ، مع أنه شيخه وسمع منه في الأصل ولكنه يحدث عنه بأحاديث لم يسمعها منه ؛ عندما يثبت عنه مثل هذا لا نقبل منه أن يقول لنا في الحديث (عن) ، فمتى نقبله ؟

نقبله إذا قال : حدثنا أو سمعت ؛ لأنه ليس كذاباً ولكنه مدلس ، إذا قال : حدثنا أو سمعت أو أخبرنا أو أنبأنا بصيغة صريحة لا تحتمل ، إذا حدث بصيغة صريحة قبلنا خبره وإذا لم يحدث بصيغة صريحة لم نقبل عنعنته ، هذا الشرط الثالث .

إذا ؛ انتهى عندنا هنا أن صيغة (عن) من الرواة مقبولة بثلاثة شروط :

الأول : أن يكون الراوي ثقة .

الشرط الثاني : أن يكون قد ثبت عندنا أنه التقى بشيخه .

الشرط الثالث : أن لا يكون الراوي مدلساً أي يروي عن شيخه ما لم يسمعه منه من الأحاديث بصيغة (عن) .

فإذا توفرت هذه الشروط الثلاثة حكمنا على صيغة (عن) بأنها صيغة مقبولة ويُقبل الحديث التي وردت فيه . هذا معنى العنعنة .

فالناظم رحمه الله قال : مُعَنَّعٌ كَعَنَ سَعِيدٌ عَنَ كَرَمٍ

فذكر المعنعن وذكر مثلاً له (ذكره بالمثال) .